

الطريق إلى السعادة

إعداد / الشيخ : السيد طه

الحمد لله الكريم الوهاب غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا إله إلا هو إليه المصير أسعد عبادة المؤمنين بالحياة الطيبة الكريمة فقال تعالى { مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً (٩٧) } [النحل].
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له .. له الملك وله الحمد وهو علي كل شئ قدير ... حدد طريق السعادة لعباده المؤمنين الصالحين وحذرهم طريق الشقاء فقال تعالى { فَاِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ (١٢٣) } وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ (١٢٤) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا (١٢٥) } [طه].

وأشهد أن سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم .. بين لأتباعه من المؤمنين حقيقة السعادة فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم { ليس الغنى عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس } [رواه البخاري ومسلم].
فألهم صل علي سيدنا محمد وعلي آله الطيبين الطاهرين ، وعلى أصحابه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما : بعد ... فيما أيها المؤمنون

لقد أخذ كثير من الناس يبحثون عن السعادة ، والحياة الكريمة ، فاختلف الناس في تحقيق السعادة لأنفسهم ولأولادهم ، فأخذ الناس يبحثون عنها في غير موضعها فعادوا خائبين صفر اليدين .. لذلك كان موضوعنا عن **الطريق إلى السعادة** وذلك من خلال هذه العناصر الرئيسية التالية ..

- ١- تعريف السعادة.
 - ٢- المفاهيم المختلفة للسعادة.
 - ٣- السعادة الحقيقية.
 - ٤- أسباب السعادة .
 - ٥- السعادة الحقيقية في الفوز يوم القيامة.
- ### العنصر الأول: تعريف السعادة :-

السعادة هي جنة الأحلام التي ينشدها كل بشر ، من الفيلسوف في قمة تفكيره وتجريده ، إلى العامي في قاع سذاجته وبساطته . ومن الملك في قصره المشيد ، إلى الصعلوك في كوخه الصغير . ولا نحسب أحداً يبحث عن الشقاء لنفسه ، أو يرضى بتعاستها .
العنصر الثاني : المفاهيم المختلفة للسعادة :-

لقد طلبها الأكثرون في غير موضعها فعادوا كما يعود طالب اللؤلؤ في الصحراء صفر اليدين كسير القلب خائب الرجاء . إن السعادة مطلب جميع البشرية ، ومقصد كل الناس ، كلٌ يرجوها وكلٌ يطلبها وكلٌ يسعى في نيلها وتحصيلها .
ولكن اختلف الناس في طلب السعادة في نواحي كثير منها

هل السعادة في الغنى والوجاهة والمنصب والشهرة؟؟

لقد ظن ذلك قوم ، فحسبوا السعادة في الغنى ، وفي رضاء العيش ، ووفرة النعيم ، ورفاهية الحياة ، وأن السعادة في أن يكون له بيت فاخر وسيارة فارهة ، أو تكون له وجاهة في المجتمع ، أو يتبوأ أعلى المناصب ، ويظنها البعض الآخر في أن يتزوج امرأة ذات مال وجمال ودلال ..

لكن البلاد التي ارتفع فيها مستوى المعيشة ، وتيسرت فيها لأبنائها مطالب الحياة المادية ، من مأكلاً ومشرب ، وملبس ومسكن ومركب ، مع كماليات كثيرة ، لا تزال تشكو من تعاسة الحياة ، وتحس بالضيق والانقباض ، وتبحث عن طريق آخر للسعادة .
فكثرة المال ليست هي السعادة ، ولا العنصر الأول في تحقيقها ، بل ربما كانت كثرة المال أحياناً وبالاً على صاحبها في الدنيا قبل الآخرة ، لذا قال الله في شأن قوم من المنافقين (فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم ، إنما يريد الله ليغزيهم بها في الحياة الدنيا) (التوبة: ٥٥) والعذاب هنا هو المشقة والنصب والألم والههم والسقم ، فهو عذاب دنيوي حاضر ، على نحو ما ورد في الحديث "السفر قطعة من العذاب" وهذا ما نشاهده بأعيننا في كل من جعل المال والدنيا أكبر همه ، ومبلغ علمه ، ومنتهى أمله ، فهو دائماً معذب النفس ، متعب القلب ، مثقل الروح ، لا يغنيه قليل ، ولا يشبعه كثير .

وفي الحديث الذي رواه أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم ، تصوير لهذه النفسية المعذبة قال : "من كانت الآخرة همه جعل الله غناه في قلبه ، وجمع له شمله ، وأتته الدنيا وهي راغمة ، ومن كانت الدنيا همه جعل الله فقره بين عينيه ، وفرق عليه شمله ، ولم يأتيه من الدنيا إلا ما قدر له" (رواه الترمذي من حديث أنس ، وروى ابن ماجه وغيره قريباً منه من حديث زيد بن ثابت).

ومن أبلغ العذاب في الدنيا كما قال ابن القيم (في كتابه "إغاثة اللهفان") تشتت الشمل وتفريق القلب ، وكون الفقر نصب عينيه لا يفارقه ، ولولا سكرة عشاق الدنيا بحبها لاستغاثوا من هذا العذاب .. على أن أكثرهم لا يزال يشكو ويصرخ منه .
ومن أنواع العذاب: عذاب القلب والبدن بتحمل أنكاد الدنيا ومحاربة أهلها إياه ، ومقاساة معاداتهم ، كما قال بعض السلف: "من أحب الدنيا فليوطن نفسه على تحمل المصائب" ومحب الدنيا لا ينفك عن ثلاث: هم لازم ، وتعب دائم ، وحسرة لا تنتضي ،

وذلك أن محبتها لا ينال منها شيئاً إلا طمحت نفسه إلى ما فوقه كما في الحديث: "لو كان لابن آدم واديان من ذهب لابتغى لهما ثالث". وقد مثل عيسى ابن مريم عليه السلام محب الدنيا بشارب الخمر، كلما ازداد شرباً ازداد عطشاً.
فالسعادة ليست في مال يجمعه الإنسان وإلا لسعد قارون، وليست في طلب الوزارة والمنصب ولو كانت كذلك لسعد فرعون ووزيره هامان، وليست في متعة دنيوية ما تلبث أن تنقضي.

هل السعادة في كثرة الأولاد؟؟

من الناس من يعتقد أن السعادة في كثرة الأولاد والأحفاد، حقيقة إن الأولاد زهرة الحياة، وزينة الدنيا، ولكن كم من أولاد جروا على آباءهم الويل وجزوه بالعقوق والكفران بدل البر والإحسان، بل كم من آباء ذاقوا حتفهم على يد أولادهم طمعاً في ثروتهم، أو لوقوفهم في سبيل شهواتهم.
لقد وجدنا من الآباء من يقول لولده أسفاً أسياً:

غذوتك مولوداً وعلتك يافعاً * تعل بما أسدى إليك وتنهل
إذا ليلة تابتك بالشجو لم أبت *** لبلواك إلا ساهراً أتململ
فلما بلغت السن والغاية التي *** إليها مدى ما كنت فيك أو مل
جعلت جزائي غلظة وفظاظة *** كأنك أنت المنعم المتفضل**

ذكر أن شاباً كان مكباً على اللهو واللعب، لا يفيق عنه وكان له والد صاحب دين، كثيراً ما يعرض هذا الابن ويقول له: يا بني احذر هفوات الشباب وعثراته، فإن الله سطوات ونقمت ما هي من الظالمين ببعيد، وكان إذا ألح عليه زاد في العقوق، وجار على أبيه، ولما كان يوم من الأيام ألح على ابنه بالنصح على عادته فمد الولد يده على أبيه، فحلف الأب مجتهداً لياتين بيت الله الحرام، فيتعلق بأستار الكعبة ويدعوا على ولده، فخرج حتى انتهى إلى البيت الحرام فتعلق بأستار الكعبة وأنشأ يقول:

**يا من إليه أتى الحجاج قد قطعوا
إني أتيتك يا من لا يخيب من
هذا منازل لا يرتد من عقبي
وشل منه بحول منك جانبه**

**عرض المهامه من قرب ومن بعد
يدعوه مبتهلاً بالواحد الصمد
فخذ بحقي يا رحمن من ولدي
يا من تقدس لم يولد ولم يلد**

ف قيل أنه ما استتم كلامه حتى يبس شق ولده الأيمن.

العنصر الثالث: السعادة الحقيقية:-

السعادة شيء ينبع من داخل الإنسان يشعر به بين جوانبه فهو أمر معنوي لا يُقاس بالكم، ولا يشتري بالدينار والدرهم ولا بكنوز الدنيا كلها؛ بل شعور داخلي يحسه الإنسان بين جوانبه يتمثل في سكينه النفس، وطمأنينة القلب، وانسراح الصدر، وراحة الضمير والبال نتيجة لاستقامة السلوك الظاهر والباطن المدفوع بقوة الإيمان.

قال الله تعالى: (مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً) [النحل: ٩٧].

وقال تعالى: (فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى * وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا) [طه: ١٢٣، ١٢٤].

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ليس الغنى عن كثرة المال ولكن الغنى غني النفس).

هذه السعادة التي يتكلم عنها علماء السلف فيقولون: "لو يعلم الملوك وأبناء الملوك ما تحنُّ فيه من السعادة لجالدونا عليها بالسيف" يعني: لو يعلم أصحاب الدنيا والمال والملك والجاه والسلطان لقاتلونا عليها، لأن السعادة في نظرهم هي التمتع بملاذ الدنيا من أكل وشرب ونساء، وهذه هي الغاية التي يريدونها من السعادة.

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه يقول: إن في الدنيا جنة من لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة"

وقال بعض العارفين: إنه ليمر بالقلب أوقات أقول: "إن كان أهل الجنة في مثل هذا إنهم لفي عيش طيب".

وَقَالَ الْإِمَامُ أَبُو الْفَرَجِ بْنُ الْجَوَازِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ لَوْ كَانَتْ السَّعَادَةُ بِالْهَيَاكِلِ وَالصُّوَرِ مَا ظَفِرَ بِهَا بِإِلَّالِ الْحَبَشِيِّ وَحَرَمَهَا أَبُو لَهَبٍ الْفَرَسِيُّ .

يقول الذهبي: إن عبد الملك بن مروان لما حضرته الوفاة قال: أنزلوني من على سريري، فأنزلوه، فسمع بجانب القصر غسالا يتغنى، فقال: ياليتني كنت غسلاً، يا ليتني ما توليت الخلافة!

قال ابن المسيب لما سمع ذلك: الحمد لله الذي جعلهم يفرون إلينا وقت الموت ولا نفر إليهم.

ولذلك لما سئل أحدهم عن السعادة، قال: " طول العمر في طاعة الله " فالسعادة الحقيقية هي في الإيمان والرضا واليقين

وحسن التوكل على الله، وساعتها سيكون الإنسان في أمن وفي أمان وفي سكينه واطمئنان.

العنصر الرابع: أسباب السعادة :-

السعادة ليست في الماديات فقط:

إن السعادة في المنظور الإسلامي ليست قاصرة على الجانب المادي فقط، وإن كانت الأسباب المادية من عناصر السعادة، ذلك أن الجانب المادي وسيلة وليس غاية في ذاته لذا كان التركيز في تحصيل السعادة على الجانب المعنوي كأثر مترتب على السلوك القويم.

وقد جاء في القرآن والسنة ما يفيد ذلك ومنها:
قال تعالى: (وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دَفْعٌ وَمَنْفَعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ * وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ) [النحل: ٥، ٦].
وقال الله تعالى: (قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ) [الأعراف: ٣٢].

وقال صلى الله عليه وسلم: (من سعادة ابن آدم: المرأة الصالحة، والمسكن الصالح، والمركب الصالح).

فما هي أسباب تحصيل السعادة في الدنيا:

١- الإيمان والعمل الصالح: وتحصل السعادة بالإيمان من عدة جوانب:

- إن الإنسان الذي يؤمن بالله تعالى وحده لا شريك له إيمانا كاملا صافيا من جميع الشوائب، يكون مطمئن القلب هادي النفس ولا يكون قلقا متبرما من الحياة بل يكون راضيا بما قدر الله له شاكرا للخير صابرا على البلاء.

إن خضوع المؤمن لله تعالى يقوده إلى الراحة النفسية التي هي المقوم الأول للإنسان العامل النشط الذي يحس بأن للحياة معنى وغاية يسعى لتحقيقها قال الله تعالى: (الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ) [الأنعام: ٨٢].

- إن الإيمان يجعل الإنسان صاحب مبدأ يسعى لتحقيقه فتكون حياته تحمل معنى ساميا نبيلًا يدفعه إلى العمل والجهاد في سبيله، وبذلك يبتعد عن حياة الأنانية الضيقة، وتكون حياته لصالح مجتمعه وأمه التي يعيش فيها، فالإنسان عندما يعيش لنفسه تصبح أيامه معدودة وغاياته محدودة أما عندما يعيش للفكرة التي يحملها فإن الحياة تبدو طويلة جميلة تبدأ من حيث بدأت الإنسانية وتمتد بعد مفارقتها لوجه الأرض، وبذلك يتضاعف شعوره بأيامه وساعاته ولحظاته.

- إن الإيمان ليس فقط سببا لجلب السعادة بل هو كذلك سبب لدفع موانعها، ذلك أن المؤمن يعلم أنه مبتلى في حياته وأن هذه الابتلاءات تعد من أسباب الممارسة الإيمانية، فتتكون لديه المعاني المكونة للقوى النفسية المتمثلة في الصبر والعزم والثقة بالله والتوكل عليه والاستغاثه به والخوف منه، وهذه المعاني تعد من أقوى الوسائل لتحقيق الغايات الحياتية النبيلة وتحمل الابتلاءات المعاشية كما قال الله تعالى: (إِنْ تَكُونُوا تَأْمُونًا فَإِنَّهُمْ يَأْمُونُ كَمَا تَأْمُونُ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ) [النساء: ١٠٤].

- فالسعادة شيء ينبع من داخل الإنسان .. ولا يستورد من خارجه . وإذا كانت السعادة شجرة منبتها النفس البشرية .. والقلب الإنساني .. فإن الإيمان بالله وبالدار الآخرة هو ماؤها .. وغذاؤها .. وهوؤها “

ويقول مصطفى لطفى المنفلوطي رحمه الله : ” حسبك من السعادة في الدنيا : ضمير نقي .. ونفس هادئة .. وقلب شريف ” .
يروى أن زوجا غاضب زوجته ، فقال لها متوعدا : لأشقيك . قالت الزوجة في هدوء : لا تستطيع أن تشقيني ، كما لا تملك أن تسعدني . فقال الزوج : وكيف لا أستطيع ؟ فقالت الزوجة : لو كانت السعادة في راتب لقطعته عني ، أو زينة من الحلبي والحلل لحرمتني منها ، ولكنها في شيء لا تملكه أنت ولا الناس أجمعون !.. فقال الزوج في دهشة وما هو ؟ قالت الزوجة في يقين : إني أجد سعادتي في إيماني ، وإيماني في قلبي ، وقلبي لا سلطان لأحد عليه غير ربي !..

ولهذا يذكر ابن القيم رحمه الله أنه سمع شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه يقول: إن في الدنيا جنة من لم يدخلها لا يدخل جنة الآخرة، وقال لي مرة (يعني شيخ الإسلام): ما يصنع أعدائي بي؟ إن جنتي وبستانتي في صدري إني رحمت فهي معي لا تفارقني، إن حبسي خلوة وقتلي شهادة وإخراجي من بلدي سياحة. وكان يقول في محبسه في القلعة: لو بذلت ملء هذه القلعة ذهباً ما عدل عندي شكر هذه النعمة، وقال لي مرة: المحبوس من حبس قلبه عن ربه تعالى والمأسور من أسره هواه. ولما دخل إلى القلعة وصار داخل سورها نظر إليه وقال فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله عذاب.

يقول ابن القيم: (وعلم الله ما رأيتُ أحداً أطيّب عيشاً منه مع ما كان فيه من ضيق العيش فهو من أطيّب الناس عيشاً وأشرحهم صدراً وأقواهم قلباً وأسرهم نفساً تلوح نضرة النعيم على وجهه)

٢- الإكثار من ذكر الله تعالى والشعور بمعيته دائما:

إن الإنسان يكون رضاه بمتعلقه بحسب ذلك المتعلق به وعظمته في نفس المتعلق والله تعالى هو أعظم من يطمئن له القلب وينشرح بذكره الصدر، لأنه ملاذ المؤمن في جلب ما ينفعه ودفع ما يضره.

لذلك جاء الشرع بجملة من الأذكار تربط المؤمن بالله تعالى مع تجدد الأحوال زمانا ومكانا عند حدوث مرغوب أو خوف من مرهوب، وهذه الأذكار تربط المؤمن بخالقه فيتجاوز بذلك الأسباب إلى مسببها فلا يبالغ في التأثر بها فلا تؤثر فيه إلا بالقدر الذي لا يعكر عليه صفوه، كما أنه لا يستعظمها فيجاوز بها أقدارها إذ لا تعدو أن تكون أسبابا لا تأثير لها بذواتها وإنما أثرها بقدر الله تعالى.

قال الله تعالى: (أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ) [الرعد: ٢٨].

وهذه العبادات تربط الإنسان بربه وتعيده إليه كلما جرفته موجات الدنيا؛ لذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم يقول: (وجعلت قرة عيني في الصلاة) وكان يقول صلى الله عليه وسلم: (يا بلال، أرحنا بالصلاة).

٣- سكينه النفس هي الينبوع الأول للسعادة :-

السكينة هي روح من الله ، ونور يسكن إليه الخائف ، ويطمئن عنده الفلق ، ويتسلى به الحزين .
 وغير المؤمن في الدنيا تنوزعه هموم كثيرة ، وتتنازعه غايات شتى ، وهو حائر بين إرضاء غرائزه وبين إرضاء المجتمع الذي يحيا فيه . وقد استراح المؤمن من هذا كله ، وحصر الغايات كلها في غاية واحدة عليها يحرص ، وإليها يسعى ، وهي رضوان من الله تعالى . قال تعالى : ” فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى * ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ”
 طه ١٢٢ - ١٢٣ .

وأى طمأنينة أقيت في قلب سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم يوم عاد من الطائف ، دامي القدمين ، مجروح الفؤاد من سوء ما لقي من القوم ، فما كان منه إلا أن رفع يديه إلى السماء ، يقرع أبوابها بهذه الكلمات الحية النابضة ، فكانت على قلبه بردا وسلاما : ” اللهم إليك أشكو ضعف قوتي .. وقلة حيلتي .. وهواني على الناس يا أرحم الراحمين . أنت رب المستضعفين ، وأنت ربي .. إلى من تكلني ؟ إلى بعيد يتجهمني ؟ أم إلى عدو ملكته أمري ؟ إن لم يكن بك علي غضب فلا أبالي ، ولكن عافيتك أوسع لي .. أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات ، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تنزل بي غضبك ، أو يحل علي سخطك .. لك العقبى حتى ترضى ، ولا حول ولا قوة إلا بالله “ .

٤- الرضا سبب لتحقيق السعادة:

والرضا درجة أعلى من درجة الصبر ، لا يبلغها إلا من أتاه الله إيمانا كاملا وصبرا جميلا ، فترى الراضي مسرورا راضيا فيما حل به ، سواء أكان ذلك علة أم فقرا أم مصيبة ، لأنها حدثت بمشيئة الله تعالى ، حتى قد يجد ما حل به نعمة أنعم الله بها عليه . ولهذا كان من أدعية رسول الله صلى الله عليه وسلم : ” وأسألك الرضا بالقضاء .. ” .
 وقد حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الراضين فقال : ” لأحدهم أشد فرحا بالبلاء من أحدكم بالعطاء ” رواه أبو يعلى .
 ويحدثنا التاريخ أن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه كف بصره ، وكان مجاب الدعوة ، يأتي الناس إليه ليدعو لهم فيستجاب له ، فقال له أحدهم : يا عم ، إنك تدعو للناس فلو دعوت لنفسك فرد الله عليك بصرك ! فقال رضي الله عنه : يا بني ، قضاء الله عندي أحسن من بصري .

والساخطون والشاكون لا يدوقون للسرور طعما ، فحياتهم كلها ظلام وسواد . أما المؤمن الحق فهو راض عن نفسه ، راض عن ربه ، وهو موقن أن تدبير الله له أفضل من تدبيره لنفسه ، يناجي ربه يقول (بيدك الخير إنك على كل شيء قدير) (آل عمران ٢٦)

ومن السعادة رضاك بالقضاء والقدر؛ بالألّا تحزن لما فات، ولا تفزع لما هو حاصل من المصائب، ولا تفرح إن كان خيرا حاصلًا بملء فيك بطرا وطغيانا قال تعالى: (لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ) [القصص: ٧٦].
 وقال تعالى: (مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ * لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ) [الحديد: ٢٢ - ٢٣] ، فالفرح الممنوع هو الفرح مع البطر؛ كما هو ظاهر في الآية، أما إذا كان مع الشكر لله، والاعتراف بنعم الله والخضوع له، فكما قال تعالى: (قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ) [يونس: ٥٨].

وقد دخل النبي - صلى الله عليه وسلم - مكة بعشرة آلاف، منتصرا على أعدائه، منكسرا رأسه تواضعا لله.
 ومن السعادة حزنك للأخرة لا للدنيا؛ لأنك لو حزنت لأجل مصيرك، وأشفقت من ذلك؛ فهذا أرجى أن تكون من أهل الجنة؛ لما ورد في ذلك من الآيات في القرآن الكريم، منها الآيات التي سبقت، ومنها قوله تعالى: (إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ) [المعارج: ٢٨] ، وهذا هو الميزان الصحيح للحزن.

وهذه الآية مما يهيجك بالفلق والخوف في كل وقت، مع الزهد في أشياء الدنيا، لا سيما إذا تفكرت فيما ستموت عليه؛ أهي خاتمة حسنة، أم سيئة والعياذ بالله؟

ولكن بالنظر لما ستلقى من جزاء غدا في الجنة؛ فأنت سعيد، ولست كالذي قال الله تعالى في شأنه: (إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا * إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ * بَلَىٰ إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا) [الانشقاق: ١٣ - ١٥].

٥- السعادة .. في القناعة والورع

طبع الإنسان على حب الدنيا وما فيها ، وليس السعيد هو الذي ينال كل ما يرغب فيه .. إن الأسعد منه هو الذي يقنع بما عنده . قال سعد بن أبي وقاص لابنه : ” يا بني ، إذا طلبت الغنى فاطلبه بالقناعة .. فإن لم تكن قناعة .. فليس يغنيك مال .. ” .
 وما أجمل حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي يقول فيه : مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرْبِهِ مَعْفَىٰ فِي جَسَدِهِ عِنْدَهُ قُوَّةٌ يَوْمَهُ فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا . رواه الترمذي .

قال حاتم الأصم لأولاده : إني أريد الحج . فبكوا وقالوا : إلى من تكلنا ؟ فقالت ابنته لهم : دعوه فليس هو برازق . فسافر فباتوا جياعا وجعلوا يوبخون البنت فقالت : اللهم لا تخجلني بينهم . فمر بهم أمير البلد وطلب ماء ، فناوله أهل حاتم كوزا جديدا وماء باردا ، فشرب وقال : دار من هذه ؟ فقالوا : دار حاتم الأصم ، فرمى فيها قلادة من ذهب ، وقال لأصحابه : من أحبني فعل مثلي ، فرمى من حوله كلهم مثله . فخرجت البنت تبكي ، فقال أمها : ما يبكيك ؟ قالت : قد وسع الله علينا ، فقالت : مخلوق نظر إلينا فاستغنيا ، فكيف لو نظر الخالق إلينا ؟

وروى الطبري في تاريخه أن عمر بن عبد العزيز أمر وهو في خلافته رجلا أن يشتري له كساء بثمان دراهم ، فاشتراه له ، وأتاه به فوضع عمر يده عليه ، وقال : ما ألينه وأحسنه ! فتبسم الرجل الذي أحضره ، فسأله عمر : لماذا تبسمت ؟ فقال : لأنك يا أمير المؤمنين أمرتني قبل أن تصل إليك الخلافة أن أشتري لك ثوبا من الخز ، فاشتريته لك بألف درهم ، فوضعت يدك عليه فقلت : ما أحسنه ! وأنت اليوم تستلين كساء بثمانية دراهم؟ فقال عمر : يا هذا .. إن لي نفسا تواقا إلى المعالي ، فكلما حصلت على مكانة طلبت أعلى منها ، حصلت على الإمارة فتقت إلى الخلافة ، وحصلت على الخلافة فتاقت نفسي إلى ما هو أكبر من ذلك وهي الجنة .

فمن السعادة أن تستمتع بما رزقك الله من الرزق الحلال؛ على أن تكون قاعدتك: (وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ) [القصص: ٧٧]،

ولست أرى السعادة جمع مال :: ولكن التقى هو السعيد

٦- السعادة .. في اجتناب المحرمات :

أي سعادة ينالها المؤمن وهو يتجنب ما حرم الله . وأي لذة يجدها في قلبه عندما يحيد عن طريق الزلل والفجور . يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَنْظُرُ إِلَى مَحَاسِنِ امْرَأَةٍ أَوْ لَمْرَةٍ ثُمَّ يَغْضُ بَصَرَهُ إِلَّا أَحَدَّثَ اللَّهُ لَهُ عِبَادَةً يَجِدُ حَلَاوَتَهَا . رواه أحمد ويقول أحد الصالحين : ” إذا همت نفسك بالمعصية فذكرها بالله ، فإذا لم ترجع فذكرها بأخلاق الرجال ، فإذا لم ترتدع فذكرها بالفضيحة إذا علم بها الناس ، فإذا لم ترجع فاعلم أنك في تلك الساعة انقلبت إلى حيوان ” . وفي هذا المعنى يقول نابغة بن شيبان :

**إن من يركب الفواحش سرا
كيف يخلو وعنده كاتباه
حين يخلو بسره غير خالي
شاهداه ورببه ذو الجلال**

والمعاصي تذهب الخيرات وتزيل النعم . قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : ” ما نزل بلاء إلا بذنب ولا رفع إلا بتوبة ” ومن كبح هواه ، ولم يسمح لشهوته أن تتسلط عليه سمي عاقلا مالكا لهواه ، وسعد في دنياه وأخرته . فقد ذكر عن أحد الملوك : أنه زار عالما زاهدا ، فسلم عليه ، فرد الزاهد السلام بفتور ولم يحفل له . فغضب الملك وقال له : ألا تحفل بي وأنا ملكك ؟ فابتسم الزاهد وقال له : كيف تكون ملكي وعبيدي كلهم ملوكك . فقال الملك : ومن هم ؟ فقال : هم الشهوات .. هي ملوكك وهم عبيدي !!

٧- السعادة .. في شكر النعم :

وكثير من الناس يظن أن أكبر نعم الله تعالى علينا وأهمها هي نعمة المال ، وينسى نعمة الصحة والعافية ، ونعمة البصر والعقل والأهل والأبناء وغيرها كثير . والسعادة أن تفنع بأن الله تعالى سيتولى أبناءك الصالحين ، فتسعى لإنشائهم النشأة الصالحة . دخل مقاتل بن سليمان على المنصور يوم بويع أميراً للمؤمنين . فقال له المنصور : عطني يا مقاتل !!! فقال : أعظك بما رأيت أم بما سمعت ؟؟؟ قال: بما رأيت . قال : يا أمير المؤمنين !!! إن عمر بن عبد العزيز أنجب أحد عشر ولدا . وترك ثمانية عشر دينارا . كفن بخمسة دنانير . وإشتروا قبره بأربعة دنانير ووزع الباقي على أبنائه .

وهشام بن عبد الملك أنجب أحد عشر ولدا . وكان نصيب كل ولد من التركة مليون دينار . والله ... يا أمير المؤمنين: لقد رأيت في يوم واحد أحد أبناء عمر بن عبدالعزيز يتصدق بمائة فرس للجهاد في سبيل الله تعالى . وأحد أبناء هشام بن عبدالمك يتسول في الأسواق . وقد سأل الناس عمر بن عبدالعزيز وهو على فراش الموت : ماذا تركت لأبنائك يا عمر ؟؟؟ وأخيرا تذكر نعم الله عليك تسعد بما لديك .. فأنت تعيش وسط جو مليء بنعم الله ، ولا بد للإنسان من أن يدرك تلك النعم ، فكم من الناس لا يدرك فضل الله علينا إلا حينما يحرم إحدى تلك النعم ؟

أخي المسلم.. ” زر المحكمة مرة في العام لتعرف فضل الله عليك في حسن الخلق .. وزر المستشفى مرة في الشهر لتعرف فضل الله عليك في الصحة والمرض .. وزر الحديقة مرة في الأسبوع لتعرف فضل الله عليك في جمال الطبيعة .. وزر المكتبة مرة في اليوم لتعرف فضل الله عليك في العقل . وزر ربك كل أن لتعرف فضل الله عليك في نعم الحياة “ ويقول أحدهم : لنكن لك يا بني ساعة في يومك وليلك .. ترجع فيها إلى ربك ومبدعك مفكرا في مبدئك ومصيرك .. محاسبا لنفسك على ما أسلفت من أيام عمرك .. فإن وجدت خيرا فاشكر .. وإن وجدت نقصا فجاهد واصطبر .

٨- أن ينظر الإنسان إلى من هو أسفل منه ولا ينظر إلى من هو أعلى منه في الرزق والصحة وغيرها وقد ورد في الحديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (انظُرُوا إِلَى مَنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ، وَلَا تَنْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكُمْ، فَهُوَ أَجْدَرُ أَنْ لَا تَزْدَرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ) رواه مسلم.

فبهذه النظرة يرى أنه يفوق كثيراً من الخلق في العافية وتوابعها، وفي الرزق وتوابعه، فيزول قلقه وهمه وغمه، ويزداد سروره واغتيابته بنعم الله.

العصر الخامس: السعادة الحقيقية في الفوز يوم القيامة:

إن وجودنا ومستقبلنا ومصيرنا من سعادة وشقاوة من نجاح وفشل في الدنيا والاخرة هو في الحقيقة ما يجب أن يشغلنا؟
يا من تعيش مرة واحدة ويفجأوك الموت مرة واحدة والأدهى أنك لا تدري متى يفجأوك؟
الايستحق كل ذلك أن تخطط للفوز التام والفلاح الكامل يوم القيامة؟؟؟

إن الفوز التام والنجاح الكامل الذي يعرفه العقلاء هو ما حوته هذه الايات

فقال تعالي {فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ (١٨٥)} آل عمران
وقال تعالي (لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ - مَالِ الْفِرْقِ بَيْنَهُمْ يَارَبِّ - أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ الْفَائِزُونَ).

وقال تعالي (الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) [النحل: ٣٢].

وقال تعالي: (لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَآدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ) [النحل: ٣٠].

وقال تعالي {وَأَمَّا الَّذِينَ سَعَدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ ۗ عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْدُودٍ

(١٠٨) { هود

أيها المسلم الكريم .. هل هناك أمر أعظم وأفدح واقسى وأخطر من يخسر الانسان حياته واهله و سعادته وسعادتهم فماذا بقي بعد ذلك؟؟

(قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ- من يارب- الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ) الزمر

(أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتِي - على ماذا تتحسر النفس يوم القيامة؟؟؟ على المال أم السلطان ام الجاه؟؟- على مَا فَرَطْتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ) الزمر.

(وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى (٢٣) يَقُولُ يَا لَئِنِّي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي) الفجر

(وَيَوْمَ يَعْصُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَئِنِّي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا (٢٧) يَا وَيْلَتَى لَئِنِّي لَأُمِّتٌ لَأَخَذْتُ فُلَانًا خَلِيلًا (٢٨) لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَدُولًا) الفرقان .

مواقف حسرة وندامة وذل ومهانة والسبب انهم لم يستغلوا حياتهم في تحقيق الفوز العظيم (فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ)

أخي المسلم الكريم .. تخيل معي أنك مع من يعيش هذا الموقف أسأل الله أن أكون وإياكم ممن يعيش هذا الموقف ...

(وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ

(٧٣) وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ (٧٤) وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُمُ بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) هذا هو حال الفائزين يوم القيامة

اتمنى ان تكون منهم؟؟

أما الفاشلين الخاسرين الكافرين فاستمع الى حالهم اسأل الله ان يقيني وياكم مصيرهم (وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا فَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَىٰ

وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ (٧١) قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوًى الْمُتَكَبِّرِينَ) الزمر

بل استمع لهذا الموقف موقف الفائزين الناجحين وموقف الفاشلين المخذولين عشه بقلبك وتخيله بجوارحك (يَوْمَ تَرَى

الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَسَعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَسُرُّوكُمْ بِثِرَاحٍ يَوْمَ جَنَّتْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٢) يَوْمَ يَقُولُ الْمُنافِقُونَ وَالْمُنافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتِسِبْ مِنْ نُّورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ

بَيْنَهُمْ سُورٌ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ (١٣) يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ (١٤) فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا

مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ) الحديد

ايها الاخوة المؤمنون لقد ملأ اليقين قلوب اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم بان الفوز والسعادة الحقيقية هناك في الجنة فبدلوا كل شي وأرخصوا كل شيء من اجل ذلك الفوز العظيم والسعادة الحقيقية ، فهذا حرام بن ملحان يطعن من خلفه يوم بدر معونة فأخذ ينضح الدم على وجهه ورأسه ويقول: (فزت ورب الكعبة، فزت ورب الكعبة) مقتول مطعون يقول هذه العبارة!!! ولو سمت النفوس لأدركت حقيقة معنى هذه العبارة.

أسأل الله العظيم أن يكتب لنا السعادة في الدنيا والاخرة ، اللهم إني أسألك الفوز في العطاء، ونزل الشهداء، وعيش السعداء، والنصر على الأعداء . آمين يارب العالمين

تمت بفضل الله تعالي